

أعضاء البيان

@ 156 @ .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { وَلَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ كَمَا صرح بذلك في سورة { قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } في قوله : { قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } . والعرب تقول : أنا
جار لك وصاحب من فلان . أي مجير لك منه . ومنه قول الشاعر : قُلْ مَن بِيَدِهِ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ } . والعرب تقول : أنا جار لك وصاحب من فلان . أي مجير لك منه . ومنه قول
الشاعر : % (ينادى بأعلى صوته متعوِّذاً % ليصحب منا والرماح دواني) % .
يعني ليجار ويُغاث منا . وأغلب أقوال العلماء في الآية راجعة إلى ما ذكرنا . كقول
بعضهم { يُصْحَبُونَ } يُمنعون . وقول بعضهم يُنصرون . وقول بعضهم { وَلَا هُمْ مِّنْكُمْ
يُصْحَبُونَ } أي لا يصحبهم إلا بخير ، ولا يجعل الرحمة صاحباً لهم . والعلم عند الله تعالى .
قوله تعالى : { بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَتْ عَلَيْهِمْ
الْعُمُرُ } . الظاهر أن الإضراب . { بَلْ } في هذه الآية الكريمة انتقالي . والإشارة في
قوله { هَؤُلَاءِ } راجعة إلى المخاطبين من قبل في قوله : { قُلْ مَن يَكْلَأُ وُكُومَ
بِالْأَيْدِي وَالْأَنْهَارِ مِنَ الرِّحْمَانِ } ، وهم كفَّار قريش ، ومن اتخذ آلهة من
دون الله . والمعنى : أنه متَّع هؤلاء الكفار وآباءهم قبلهم بما رزقهم من نعيم الدنيا حتى
طالت أعمارهم في رخاء ونعمة ، فحملهم ذلك على الطغيان واللجاج في الكفر . .
وما تضمنته هذه الآية الكريمة : من أنه تعالى يمهّل الكفار ويملي لهم في النعمة ، وأن
ذلك يزيدهم كُفراً وضلالاً جاء موضحاً في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى ، كقوله : { وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن زُمَّا زُمَّا لَّهُمْ خَيْرٌ لَّا نَفْسُ لَهُمْ
إِنَّ زُمَّا زُمَّا لَّهُمْ لِيَزْوَادُوا } . { وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } ، وقوله
تعالى : { سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ } . { وَأُمْلِي لَهُمْ } . { إِنَّ
كَيْدِي مَتَّيْنٌ } ، وقوله تعالى : { قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا
أَن نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْ لِيَأْخُذَ وَلاَ كُنْ مِّنَ الْمُتَعَتِّهِمْ } . { وَءَابَاءَهُمْ
حَتَّى نَسُوءَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا قَوِّمًا بُورًا } ، وقوله تعالى : { بَلْ
مَتَّعْتُمُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ } . { وَرَسُولٌ مُّبِينٌ

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ {
والآيات بمثل ذلك كثيرة . والعمر يطلق على مدة العيش . قوله تعالى : { أَفَلَا يَرَوْنَ
أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ رُضًا نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ } .